الفكرية : كما في السماء في الارض ، وكما في الداخل (الذات) في الخارج (العالم) فنادي الحسيديون بأن يغوص الانسان في أعماق ذاته ، وفي داخل الذات تسقط الحواجز التي تفصل شيئا عن الاخر وفردا عن الاخر ، وفي داخل الذات يرتفع ويتسامى الانسان على حدود الكون والطبيعة ، الى ان يصل في النهاية الى ان الله هو الكل في الكل ولا يوجد سواه (٣٥) . ولعل تأكيد العنصر الذاتي هو محاولة من جانب الحسيديين للاحتفاظ بالحماس الماشيحاني لدى الجماهير ، ولكنه في الوقت ذاته محاولة لمحاصرة هذا الحماس وتبريده وتحديده حتى لا يتفجر بشكل عدمي فوضوي كما حدث في الحركات الماشيحانية السابقة للحسيدية مثل الشباتية ، وهي حركات وجدت نفسها مضطرة ان تحول نزعتها الفردوسية الى حقيقة واقعة ، فذهب الماشيح الدجال شبتاي تسفي الى صهيون ليعتلي عرش داود مما جر عليه وعلى اتباعه الهلاك، لذا آثر مشجاء الحسيدية الغوص في فردوس الذات على الذهاب الى صهيون (وان كان هذا لم يمنعهم من الذهاب الى صهيون حينما كانت الفرصة مواتية — اي أن الاحجام عن « الحركة » الغيبية والاكتفاء « بالتأمل » الغيبي ليس جزءا من البنية وانما هو ضرورة عملية برجماتية .

واذا كانت الرؤية الماشيحانية التقليدية رؤية ابوكاليبسية تحدث بغتة ، فالماشيحانية الحسيدية تدرجية، واصبحت الماشيحانية ليست مجرد وصول الماشيح وانما حركة بطيئة متصاعدة يشترك فيها كل افراد يسرائيل (٣٦) (وكلهم من المشجاء المخلصين حسب التصور التقليدي) : اي انها اصبحت ماشيحانية دون ماشيح — ماشيحانية تستند اساسا الى الذات اليهودية الجماعية .

هذه الماشيحانية الذاتية او النفسية المتفجرة ان صح التعبير لها نتائج فكرية وعملية عديدة انعكست على سلوك وتصورات الحسيديين ، سنجمل بعضها فيما يلي :

١ — تقبل الحسيديون الايمان التقليدي بان الشريعة المكتوبة (اي التوراة) والشفوية (اي التلمود وكتب القبالة) مرسلة من الله ، ولكن العالم كله ان هو الا كشف روحي الهي ، ولذا تصبح التوراة والشريعة الشفوية مجرد جزء صغير من الكل الاكبر الاشمل (٣٧) (والحسيديون بذلك يبطلون العمل بالشريعة تقريبا وابطال الشريعة حسب التقاليد اليهودية هو من حق الماشيح وحده) . ويصبح الهدف من دراسة التوراة ان يصبح الانسان نفسه « توراة » ، قانونا في حد ذاته .

والتوراة باعتبارها جزء من الكون تعكس الكون ايضا ولذا فكل من يدرس التوراة لا يجد فيها ابراهيم وموسى وحسب وانما يجد بلعام وهامان ايضا (٣٨) ، والخير والشر، اي ان التوراة لا تجسد فكرة القانون وانما اصبحت القانون ونقيضه .

٢ — يرى الحسيديون ان الهدف من حياة الانسان ليس هو فهم الكون او تغييره او حتى تنفيذ الاوامر والنواهي (المتسفاه) وانما هو « الدبكوت » او الالتصاق بالله والتوحد به . فدراسة التوراة وتنفيذ الاوامر والنواهي وكل العبادات هي في نهاية الامر ادوات ووسائل للتوحد بالخالق (٣٩) ، نرى هنا مرة اخرى اثر « الماشيحانية النفسية» .

٣ — يصاحب هذا الانكار لفكرة القانون والحدود ايمان بالحتمية المطلقة ، فاذا كان الكون هو الله ، واذا كان كل مخلوق هو جزء من الخالق ، فان كل شيء يصبح جزءا من خطة الهية محسوبة ، لا شيء يتم فيها بالصدفة ولا يوجد فيها مجال لاي ارادة انسانية (٤٠) مستقلة ، فعدم انفصال الخالق عن المخلوق فيه انكار لحرية المخلوق وفيه تأكيد لمقولة ان الانسان مسير تماما وانه غير مسؤول عن افعاله مهما بلغت من دناسة واجرام (ولنلاحظ هنا التشابه البنيوي بين الحسيدية والنيتشوية فكلاهما يؤكد فكرة الارادة المطلقة بانكار الحدود وكلاهما يؤكد الحتمية المطلقة (فكرة العود الابدي عند